الفصل الأول

تطور لغة القرآن الكريم فى غرب إفريقيا

1 - مكانة اللغة العربية في السودان الغربي

2 - انتشار اللغة العربية في السودان الغربي

3 - مكانة التعليم العربي في بعض مناطق غرب إفريقيا

4 - التعليم القرآني ودوره في المحافظة على الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا

5 - المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية

6 - التعليم العربى الحر ودوره في دعم الدين والثقافة العربية في غرب إفريقيا

7 - برامج التعليم التقليدي ومراحله

8 - تطور اللغة العربية في غرب إفريقيا الغربية سنتى 1907 - 1909

1- مكانة اللغة العربية في السودان الغربي:

يذهب المؤرخ الفرنسي ألفونس غوي إلى أن الإسلام هو الذي فتح باب التاريخ لإفريقيا. أما قبل الفتح الإسلامى فتاريخ إفريقيا لم يبتعد قط عن ضفاف البحر الأبيض المتوسط، والأحداث التى تعرضت لها القارة لم يصل صداها إلى العالم الخارجى إلا بعد الفتح الإسلامي[1].

والحقيقة أنه قبل الأبحاث الأثرية الحديثة التي بدأت منذ حوالى 20 سنة لايكاد يكون هناك لتاريخ إفريقيا من مصادر معروفة غير المصادر العربية. فكتابات البكري[2] والإدريسي[3] وابن حوقل[4]، وابن بطوطة[5] وابن خلدون[6] والحسن الوزان[7] وغيرهم ظلت كتبهم إلى وقت قريب تحتل الصدارة وحدها فى هذا المجال، ولا زالت تحافظ على قيمتها التاريخية حتى وقتنا الراهن. وقد ساهم

---

(1) Alphonse Gouilly: L:Islam Dasn L'A.O.F. Paris- 1952 pp 45-46.

(2) البكري أبو عبد الله: توفي في قرطبة 1094م ـ المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ـ بغداد مكتبة المتن.

(3) الإدريسي أبو عبد الله بن محمد: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ـ ليدن 1866.

(4) ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي: توفي نحو 977م ـ صورة الأرض (المسالك والممالك) مكتبة الحياة ـ بيروت ط/ 2 بدون تاريخ.

(5) ابن بطوطة: (1304-1378م) - رحلة ابن بطوطة بيروت 1964 (701ص).

(6) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ـ المجلد الأول ط/ 2- بيروت 1961 (1.169ص) ـ المجلد السادس ـ دار الكتاب اللبناني 1959 (1094ص).

(7) Leon L, africain Jean: Description de I' afrique tiorce Partie du Monde - Paris 1896 - 3 V. (T.I 378pp T.II. 482 PP T. III. 468PP).

هؤلاء الرحالة العرب بإعطاء معلومات وافرة عن تاريخ إفريقيا الغربية السوداء، وذلك ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي.

ومنذ القرن الرابع عشر الميلادي أضيف للمصادر العربية السابقة الذكر ما كتبه العلماء السودانيون أمثال: القاضي محمود كعت[1] وعبد الرحمن السعدي[2]، وذلك إلى جانب المصادر الأوربية وخاصة التي كتبها الرحالة والرواد الأوائل، منهم: كادا موستو[3]* ودولاس وغيرهما[4].

أما بعد الحرب العالمية الثانية فنشطت الأبحاث الأثرية، وظهر بواسطتها عامل جديد في مصادر تاريخ إفريقيا الغربية.

وفي الحقيقة تعود الحفريات الأثرية الأولى في إفريقيا الغربية إلى سنتي 1911-1913 والتي قام بها السيد بونال دوميزيار[5]، ثم قام السيد لازارتيق بحفريات أثرية مشابهة للأولى في المنطقة سنة 1939، ثم قام السيد توماساي[6] بحفريات أثرية في موريتانيا بين سنتي 1949-1951 ،واكتشف خلال السنة الأخيرة مدينة وكومبي صالح، ثم قام السيدان موني وسيموسكي هما الآخران بحفريات أثرية في المنطقة.

كما اكتشف السيد جان دوفيس في سنة 1960 مدينة تغداوست. وأثبتت الشواهد المادية تشابها كبيرا بين المدينة الأخيرة وكومبي صالح، وذلك من حيث

---

(1) القاضي محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ـ باريس ـ 1964.

(2) الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (1056-1596) تاريخ السودان المجي 1898(323ص).

(3) Da Da Mosto.

(4) Delafosse M.: Traces Brorables De Civilisation Egyptienne Et D'Hommes De Race Blanche A La Cote D'Ivoire- Paris- 1900 (690PP).

(5) A. Bonnel De Mezieres: Rechercae Sur **L'empl Cemmnt** De Ghana et De **Tfkaour**- Paris- 1920 (283PP).

(6) Thomassey P.: Note Sur Ia Geographie et l'habitat De Le Region De Koumbi Salah- Ifan- 1951- (462PP).

الهندسة والصناعات التقليدية. ويبدو أن المدينتين متعاصرتان. وتكمن أهمية حفريات تغداوست في أنها تعطينا معلومات أثرية مهمة عن الفترة الممتدة ما بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين[1]. وعرفت خلال الفترة المذكورة الحضارة العربية من جهة والحضارة الزنجية من جهة أخرى تلاحمًا ملحوظًا[2].

إذن يرجع التقاء الحضارتين العربية والزنجية إلى القرن السابع الميلادي. وقد أثرت الحضارة الأولى في الثانية، تأثيرا ملحوظا في جميع المستويات. وهو الشيء الذي ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا الغربية منذ أوائل القرن السابع الميلادي[3]. وتطور انتشارها خلال القرون التي تلتّ.

والسؤال الذى يطرح نفسه هو: لماذا لم تصمد اللغة العربية فى إفريقيا الغربية السوداء أمام التيارات المضادة لها، شأنها شأن إفريقيا الشمالية على سبيل المثال؟

إن وضع الاستعمار وحده لا يمكن أن يكون كافيا لتبرير اضمحلال اللغة العربية فى إفريقيا الغربية، وإن كان من أهم العوامل التى ساعدت على إضعافها وتدهورها في المنطقة.

وشمال إفريقيا تعرض للاستعمار بنوعيه، القديم والجديد، ولكن هذا لم يكن سببًا في سلخه عن الأمة العربية الذي هو جزء لا يتجزأ منها. ولا ننكر أن اللغة العربية خاصةً والثقافة العربية عامةً شهدت نوعا من التدهور الحضاري والفكري منذ ما قبل الفترة الاستعمارية وبدون شك ازداد خلال هذه الفترة، غير أن شمال إفريقيا بقي وفيا لاستعادة مقوماته الشخصية والثقافية، وذلك منذ استعادة استقلاله السياسي. وعلى العكس من ذلك سادت اللغة الفرنسية والإنكليزية إفريقيا السوداء، ونشأت ارتباطات بينها وبين أهل البلاد على جميع المستويات، منها الحضارية والفكرية والدينية؛ علمًا بأن اللغة العربية سادت في إفريقيا الغربية

(1) J. Devisse et S. Robert: Taoudagoust. T. 1 Recherc E sur Taoudagoust Paris-1970.

(2) R.mauney: Les Siecles obsours de L'afrique noire Paris- 1970-PP 147 a 153.

(3) رايمون موني: المرجع نفسه.

قبل الفترة الاستعمارية بقرون كثيرة، وألّف الكثير من الأفارقة في شتى الميادين بهذه اللغة[1]، وقد أثنى بعض المؤلفين الغربيين الذين اهتموا بدراسة هذا الجانب من حياة الأفارقة على إنتاج الأفارقة باللغة العربية[2] واعتبروه لا يفترق ولا يختلف في شيء عن نتاج العرب أنفسهم.

احتلت اللغة العربية مكانة مرموقة بين الزنوج الأفارقة وذلك منذ أزمنة بعيدة؛ وتنافس المثقفون الأفارقة لاكتساب مختلف المعارف بهذه اللغة[3]. وفي الحقيقة فإن اللغة العربية هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي للمرابطين وأصحاب الطرق الصوفيه: الذين ساد بينهم تنافس شديد في التمكن من اللغة العربية من جهة، وفي نشرها بين الجماهير الشعبية من جهة أخرى[4]*.

وهناك عدد هائل من الموظفين الزنوج في الإدارة الفرنسية، والذين تثقفوا ثقافة فرنسية بحتة، وعادو إلى الكتاتيب القرآنية قصد إعادة تربيتهم الدينية. ومهما بحثنا في أوساط المجتمعات في إفريقيا الغربية لانجد عندها أدنى رغبة في التوجّه إلى الثقافة الغربية[5].

ولعب الأفارقة الذين تخرجوا من الأزهر دورًا هامًا في نشر اللغة العربية بين

---

(1) Annuaire de la Societe Archeo. de la Province de Cno 1853-54 P- 1à48.

(2) «نشر السيد شاربونو (Charboneau) مقالا عن الثقافة العربية في السودان استنادا إلى كتاب تكملة الدباج لأحمد باب التمبوكتى في المرجع المذكور أعلاه. وأبدى السيد شاربونو دهشته وإعجابه بالثقافة العربية في السودان ويذكر ما يقرب من 17 عالمًا عاشوا بين القرنين الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين، تعلم جلهم في مكة أو المدينة أو القاهرة. وينوه صاحب المقال بالمستوى الثقافى العالي الذى يتم به هؤلاء العلماء، مشيرا في نفس الوقت إلى الخدمات الثقافية التي يقدمونها للحضارة العربية الإسلامية في المنطقة. ويعطى السيد شاربونو نماذج مخطوطة عن مؤلفاتهم، وهي فى أحسن الروعة الأدبية والدقة اللغوية والذوق الفنى».

(3) درس بيفار واسكيت الأدب العربي في نيجيريا وذلك حتى سنة 1804. وذكر المؤلفان عدة أفارقة اشتهروا بإنتاجهم الأدبي وذلك مثل البلبعلي ودان مرينا ودان مسانيح وجبريل دغاديس، وغيرهم من السودانيين الذين اشتهروا في ميدان الأدب العربي خلال القرن التاسع عشر الميلادي. (Nigeria Macazine N. 68 Decembre 1961 p.85).

(4) Marcel Cardaire: L'isian et le territoire Af. Paris 1954 P. 115.

(5) مارسيل كردير: نفس المرجع السابق ص 115.

الجماهير، وقد خُصِّصَ لهم في مصر بجامعة الأزهر رواق كان يعرف برواق التكرور[1].

وفي مدينة سيغو أنشأ أحد الشبان المتخرجين من الأزهر مدرسة، كان يذهب إليها ما يقرب من 125 تلميذًا، وبعد بضع سنوات دُهش الفرنسيون عندما سمعوا بعض الشباب يتكلمون اللغة العربية في إحدى طرقات حي ماجندى بسيغو[2].

إن جلّ الباحثين الأوروبيين[3] والعرب[4] على السواء يتفقون على الرغبة الملحة التي يمتاز بها الأفارقة لتعلم اللغة العربية؛ وبالتالي إلى الانتماء إلى الحضارة العربية الإسلامية التي عرفوها منذ أزمنة بعيدة.

ويبدو أن الاستعمار الأوربي الذي تعرضت له إفريقيا الغربية وخاصة الفترة الاستعمارية الفرنسية، كان من بين العوامل الهامة التي حالت دون تطور وانتشار اللغة العربية في المنطقة. وحَمَل الاستعمار إلى البلاد معه مظهرين في أشد الخطورة، يعتبران مظهران استعماريان أساسًا، وهما: اللغات الأوروبية والديانة المسيحية. ولم يدخر الاستعمار الأوروبي جهدًا لتدعيم ركائزهما في المنطقة[5].

وقد نجح الاستعمار الأورربي فعلاً بواسطة اللغة الفرنسية والديانة المسيحية، في تكوين نخبة متأثرة أشد التأثر بالحضارة الغربية. ولم يسمح الاستعمار الفرنسي فى إفريقيا الغربية إلا بحجم ضئيل من الثقافة حسب أهدافه الاستعمارية.

ووقفت الإدارة الفرنسية موقفًا مناوئًا من اللغة العربية في إفريقيا الغربية[6]،

---

(1) د/ عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين الجزائر 1971 ص 146.

(2) مارسيل كاردير: المرجع نفسه ص 120.

(3) انظر مارسيل كاردير ص 121 - ف. مانتوي ص 222 - مونتوزير ص 39/38.

(4) د/ عبد القادر زبادية ص 146 - نعيم قداح ص 205.

(5) د/ عبد الحليم عويس ـ المسلمون في إفريقيا ـ مجلة الأصالة عدد 43/42 ص 60.

(6) ARCHIVES: Sectioon d'outr Mer Paris Dossier Sedgal no 10.

ولم تخلُ عقلية ضباطها العسكريين الذين شاركوا في احتلال المنطقة من الروح الصليبية[1]. وفي عهد الجمهورية الثالثة وقف الساسة والإداريون موقفًا مناهضًا أمام فكرة تثقيف الشبيبة الإفريقية ثقافة إسلامية، الشيء الذي أدّى إلى الحيلولة دون تطبيقها[2].

واتخذت الإدارة الفرنسية إجراءات صارمة لنشر لغتها في إفريقيا الغربية؛ من ذلك إبعاد كل منافس لها[3]، واقتصرت الوظائف في إدارتها على الأفارقة المتعلمين بلغتها دون سواهم[4]، وهنا ظهر بعض التراجع من قبل المثقفين باللغة العربية خاصة في توجيه أبنائهم إلى تعلم اللغة الفرنسية، وإن لم يهملوا بشكل تام اللغة العربية[5]. وذلك حتى فترة زمنية محددة.

ويبدو أن أسباب اهتمام الأفارقة عامةً في المستعمرات الفرنسية وإفريقيا الغربية خاصة باللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، راجعٌ أساسًا إلى فرض اللغة الأولى من قبل أصحابها على أهل البلاد[6]، فضلاً عن أن هؤلاء نظروا إلى اللغة الفرنسية نظرة مادية، ذلك لأنها كانت تضمن وظيفة لمتعلمها.

ألم تكن اللغة الفرنسية في كافة مستعمرات فرنسا لغة الخبز؟!

ويذهب السيد تونبي المؤرخ الإنكليزي الشهير إلى القول بأن هناك لتلاقي الحضارات الإنسانية القوانين التالية:

(1) الخصائص الفردية للثقافة الأجنبية أكثر قبولاً من الثقافة في مجموعها.

---

(1) الفونس غوي: ص 186.

(2) ARCHIVES: S. O. M. PART, DOSSIER SENEGAL No 10.

(3) انظر قرار الحاكم مانتيفير الذي أصدره سنة 1896، والذي ينص على غلق الكتاب خلال الساعات التي تفتح فيها المدارس الفرنسية أبوابها.

(4) G. NARDY: Une Conquete Eorale I'Ens. en A.O.F. PARIS 1957 p. 89.

(5) م. كاردير: ص 115 «إن هدف جل الأولياء من إرسال أبنائهم إلى الكتاب هدف ديني أكثر منه ثقافي...».

(6) انظر قرار الحاكم جوبير الذي أصدره عام 1870، والذي ينص على إجبارية تعلم اللغة الفرنسية في إفريقيا الغربية.

(2) العامل الثقافي المغترب في بلد ما، وغير المرغوب فيه يحدث كوارث في الأجسام الثقافية الغريبة عنه التي يلتقي بها، لأنه عامل غريب ومبتور من جذوره بالنسبة للحضارة المستعيرة.

(3) قوة النفاذ لأي إشعاع ثقافي تكون على نسبة عكسية للقيمة الثقافية لذلك الإشعاع.

(4) إذا تقبلت حضارة ما، أي عامل من العوامل الثقافية الدخيلة عليها، ولو كان بسيطًا، فهذا الأخير يَجُر وراءه العوامل الأخرى.. وهكذا تهاجم الخلية الاجتماعية بدون هوادة من قبل العوامل الأخرى الواحد تلو الآخر. وانهزام الحضارة المستعيرة، وخضوعها للحضارة الدخيلة يبقى أمرًا معتمًا.

(5) قبول عنصر من ثقافة ما أجنبية سيجر وراءه سائرها، وهذا العنصر المفرد أكثر إزعاجا للحضارة المستعيرة مما لو تبنت الثقافة الأجنبية كلها[1].

2- انتشار اللغة العربية :

إن العامل الديني وحدهُ ليس كافيًا في تعليل انتشار اللغة العربية في إفريقيا؛ بل هذا الانتشار يمكن تعليله بعوامل كثيرة متضافرة ومتشابكة يكمل بعضها البعض.

ولعل مما ساعد على انتشار اللغة العربية فى إفريقيا هو عدم جواز ترجمة القرآن وكتابتهُ بغير اللغة العربية التي نزل بها، فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة. وبالتالي كان على كل إفريقي دخل الإسلام أن يتعلم ويحفظ من القرآن ما يخوّل له أداء صلاته. كما يعلل بعض الباحثين انتشار اللغة العربية في إفريقيا بالقرابة التي توجد بينها وبين اللغات السامية الأخرى؛ وذلك في كثير من المظاهر الصوتية واللفظية والنحوية. فضلاً عن أن هناك إجماع بين

(1) Arnold Toynbee: L'histoire- Bruxelles 19775 p. 413.

علماء اللغات على التشابه الموجود بين اللغات السامية واللغات الحامية، ومثال ذلك: التشابه الموجود بين اللغات السامية والقبطية، مثلاً في الضمائر وأسماء الأعداد والتثنية وقواعد الصرف والأصوات الساكنة[1].

أما العامل الحضاري فقد لعب دورًا رئيسيًا في نشر اللغة العربية في إفريقيا؛ وذلك لأن العلماء مجمعون على أنه إذا التقت لغة ذات تراث حضاري راقٍ مع لغة أخرى حظها من ذلك التراث أقل، يؤدي هذا الأمر بدون ريب إلى تغلب وتفوق اللغة الأولى[2].

ثم إن قصور اللغات المحلية في إفريقيا قبل وصول الإسلام عن استيعاب المفاهيم الحضارية المختلفة، ربما كان من بين العوامل المساعدة على فتح الطريق أمام انتشار اللغة العربية[3].

ويبدو أن ظهور الامبراطوريات الإفريقية القديمة مثل: غانا، ومالي، وسنغاي وكلهم يورنو وغيرها قد ساعد على انتشار اللغة العربية في إفريقيا[4]، بحيث اعتنى الأفارقة عناية خاصة باللغة العربية، ووفروا لها كل الوسائل منها المادية ومنها المعنوية لنشرها بين الطلبة والمتعلمين.

وكان لسان سنغاي اللغة العربية، بحيث كانت هذه لغة الثقافة والإدارة معًا. كما كان استعمالها بين الناس شائعا في السوق[5]. وربما كانت سنغاي أكثر الامبراطوريات الإسلامية الإفريقية تحمسًا للعربية ونشر تعليمها[6].

ولعل نقص اللغات المحلية الإفريقية حضاريًا، كان من بين العوامل الهامة

---

(1) د/ حسن أحمد محمود: ص 51-52 .

(2) أرنولد توينبي ـ التاريخ ـ ص 413.

(3) تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان.
محمد بن عمر التونسي 1845 م. مراجعة د/ محمد مصطفى زيادة ـ القاهرة 1965.

(4) V. MONTEUIL: L' Islam Noir en Marche-Lemonde 14-15/6/1960.

(5) د/ عبد القادر زيادة: مملكة سنغاي ص 102.

(6) د/ عبد القادر زيادة: مملكة سنغاي ص 141.

التي ساعدت اللغة العربية على الانتشار في المنطقة. حيث استعملت اللغات المحلية الكتابة العربية لكتابة لغاتها، وذلك مثل: الوولفية والسواحلية، والهوسة[1] وغيرها من اللغات المحلية. كما اقتبست هذه اللغات الأخيرة من اللغة العربية أعدادًا هائلة من مفرداتها واستعملتها فى محادثاتها[2]. ويقول الحسن الوزان: إن الحروف الإفريقية ضاعت منذ قرون خلت وعوضها أصحابها بالكتابة العربية[3].

وجدير بالذكر أن انتشار التعليم العربي فى إفريقيا الغربية خلال العصور الحديثة، واعتناء زُعماء الإسلام بنشره على كل المستويات، كان من بين العوامل الهامة التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في المنطقة.

وتعتبر اللغة العربية بعد الدين الإسلامي الرابط الأساسي الذي يربط العالم الإسلامي ككل بما فيه إفريقيا الغربية. وبدون شك فإن اللغة العربية واللغة الإنكليزية، هما اللغتان الوحيدتان اللتان عرفتا انتشارًا لم تعرفه أي لغة أخرى في المعمورة. ونزول القرآن باللغة العربية قد زاد من أهميتها بين الجماعات الإسلامية[4].

غير أن اللغة العربية في إفريقيا الغربية تجاوزت الجانب الديني إلى المجالين الإداري والثقافي، وأصبحت لغة الإدارة والثقافة في كل المناطق التي منها الإسلام.

وفي تنبكت توطدت أركان اللغة العربية وانتشرت انتشارًا كبيرًا بين الجماعات الإفريقية هناك، وكانت في غاية الدقة والإتقان[5].

وفي العصور الحديثة قام أصحاب الطرق الصوفية بدور كبير في ميدان نشر

---

(1) يقدر فانسا مونتوي مساهمة اللغة العربية في إثراء اللغة المحلية الإفريقية من حيث المحادثة بما يقرب من 50%.

(2) V. Monteuil: Lislam en Afrique noir, P.225 & 229.

(3) الحسن الوزان: ج 1 ص 91.

(4) فيلار: ص 96.

(5) د/ عبد القادر زبادية ص 141 - انظر كذلك فيدلار ص 26.

اللغة العربية والتمكين لها أكثر فأكثر في إفريقيا الغربية. فقد أسسوا المدارس وأشرفوا عليها وأنفقوا عليها، وكان التعليم لديهم مجانيًا[1].

أما في المجالين الديني والاجتماعي فقد اشتروا الرقيق وعلموهم شعائر الإسلام ومبادئه وثقفوهم ثقافة عربية إسلامية، ثم حرّروهم لنشر الدعوة الإسلامية بين ذويهم ومجتمعاتهم في شتى مناطق إفريقيا الغربية[2].

ومما لا ريب فيه أن الإسلام والحضارة العربية في السنغال قد أحدثا تغيرات جذرية في النظم الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغيّرا النظام الحياتي لكل فرد مسلم في البلاد.

3- مكانة التعليم العربي في بعض مناطق غرب إفريقيا:

تعتبر الكتاتيب القرآنية في السنغال قاعدة التعليم التقليدى العربي، وكانت ولا تزال الدرع الواقي للحضارة الإسلامية، ووسيلة هامة لدفع عجلة التقدم الثقافي الإسلامي في المنطقة[3].

ـ الكتاتيب القرآنية :

وتختلف تسمية الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية باختلاف قبائلها، فعند قبائل الوولوف (OULOF) يطلق عليها اسم دارا (DARA)، وعند قبائل الموريطانيين (Ies Maures) يسمونها محضرة، وقبائل المندونغ تسميها كارا (KARA). وعند قبائل التكرور يطلق عليها اسم ديان جانتي (DYANJINTE)[4]. أما عند الشوسة: فيسمون معلم الكتاتيب القرآنية معالام (MALLAM). وواضح من هنا أن الكلمة تحريف لكلمة معلم، وتشير هذه الكلمة إلى المتعلمين باللغة العربية عامة، وللأشخاص الذين يعرفون قراءة وكتابة

(1) Louis RINN: Marabouts et Akhouan ALGER 1884 p. 424-418.

(2) د/ حسن أحمد محمود: المرجع السابق ص 42 و 65 .

(3) J. L. MONREZER: L' Afrique et L' Islam DAKAR 1939 P. 30.

(4) الفونس غوي ـ الإسلام في إفريقيا الغربية ص 221-222 .

السواحلية باللغة العربية[1]. قد درس بعض المؤلفين الأوروبيين الثقافة العربية في بعض مناطق إفريقيا وأثبتوا مساهمة الأفارقة في إثراء الأدب العربي[2].

ولعبت قبائل الفلان (البول) دورا هاما في ميدان نشر الثقافة العربية في إفريقيا، وخاصة في غينيا وفي فوته جالون، وفى سنة 1912 أشار المؤرخ أرنو (ARNAU) إلى وجود حوالي 20 صوفيًا فى السنغال، بعضهم كانت في حوزته ما يقرب من 400 كتاب من أمهات الكتب باللغة العربية، وعدد الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة باللغة العربية كثيرون في منطقة فوتا جالون الوسطى بالسنغال. وأثبتت الأبحاث أنه في كل قرية يوجد بها من 5 إلى 25 شخصًا يعرفون الكتابة والقراءة باللغة العربية من قبائل التكرور، ومثلهم عدد قبائل الوولوف الذين يكتبون لغتهم المحلية بالحروف الأبجدية العربية. وقد قدر عدد الكتاتيب القرآنية في نيجيريا فى سنة 1900 بما يقرب من 25000 كتاب، وأما التلاميذ فيخدمون مزارع المعلمين، ويحفظون القرآن دون فهمه، ويتعلمون شيئًا من الكتابة. وعلى عكس ذلك فَتَحَتْ الجماعات الإسلامية مدارس عصرية أكثر تطورًا من الأولى في جنوب المنطقة. وكان بعضها قد أنشئ على السواحل من طرق العرب السوريين أو عرب إفريقيا الشمالية، ثم انتشرت هذه المدارس لتصل إلى غرب المنطقة[3].

---

(1) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir"- Paris- 1964 p. 221.

(2) درس بيفار واسكيت (BIVAR et HISKETT) في سنة 1961 الأدب العربي في نيجيريا، وذلك حتى سنة 1804 (Négéria Magasine No 68 12/1961 p. 83). ويشير المؤلفان إلى أن أشهر كاتب معروف في ميدان الأدب العربي في المنطقة هو الرحالة الجزائري المغيلي (EL- MAGHILI) الذي توفي في سنة 1504 م. وقد ألف حوالي عشرين كتابا منها كتاب واجبات الملوك (Les Ogligations des Prir) الذي نشر في بيروت سنة 1932 وترجم إلى اللغة الإنجليزية. ثم يأتي مباشرة بعد المغيلي، البلبالي (AL-BILBALI) الذي توفي حوالي سنة 1533 م. ويبدو أن هذا الأخير حفظ عَن ظهر قلب كتاب صحيح البخاري، وفي القرن السابع عشر الميلادي برز من قبائل الهوسة كل من دان مريدا ودان مسانيح. وفي القرن 18 م. برز جبريل دغاديس (J. d'AGADES) الذي أقام في الشرق العربي 20 سنة، وتوفي في نهاية القرن الأخير (18).

(3) V. MONTEUIL: P. 222-225.

وقد قدر عدد التلاميذ الذين كانوا يتعلمون اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية في بداية هذا القرن في السنغال بما يقرب من (14000) من الأطفال، منهم ثلاثمائة (300) كانوا يواصلون تعليمهم في المدارس العربية.

وهؤلاء التلاميذ يمثلون عاملاً هامًا من عوامل التقدم الاجتماعي ونشر الإسلام والتعريب في المنطقة. وعمومًا فالقبائل الإفريقية تهتم بتعليم أطفالها القرآن الكريم في سن مبكرة، ويتولى الآباء هذه المهمة قبل التحاق الأطفال الصغار بالكتاتيب[1].

وعند قبائل الموريطانيين خاصة، تتولى الأم تعليم أطفالها الصغار قبل أن يلتحق هؤلاء بالكتاتيب، فتعلمهم كيف يحسبون، وكيف يتهجون الكلمات وفي سن السادسة يلتحق الأطفال بالكتاتيب القرآنية بدون استثناء، وفي هذه المرحلة يبدأ الأطفال بتعلم القواعد اللغوية، وكيفية النطق، ومبادئ الكتابة، وحفظ القرآن الكريم. أما البنات فعادة ما ينتهي تعليمهن في سن العاشرة، وأحيانا يستمر تعليمهن الديني والقرآني داخل الخيمة. أما الأطفال فيزاولون تعليمهم عادة حتى الرابعة عشر من أعمارهم[2].

إن الثوب الذي يكتسبه الإسلام الآن في السنغال صورة عن التعليم العربي؛ ومؤثرات المعلمين والشيوخ الذين استطاعوا بإيمانهم الراسخ أن يؤثروا في الجماعات السنغالية، ولعبت القبائل دورًا هامًا في هذا الميدان مثل: قبائل التكرور، والولوف، والفلان، وسارا كولي، وقبائل ملانكي (Malanké) أو بودران (Podorans)، وغيرها. ومن شخصيات هذه القبائل كارا موكا الفا (K.M. ALFA) شيخ أجمادو، والحاج عمر، وعثمان دان فيودو، وساموري كيتا، وهؤلاء جميعا كانوا في مقدمة الزحف الإسلامي في السنغال[3]. ويعطي

---

(1) A. GOUILLY: P. 222.

(2) الفرنس غوي ـ نفس المرجع السابق ص 222 .

(3) Afrique et Asie No 4 1953- p. 6.

الأفارقة أهمية بالغة لحفظ القرآن الكريم[1]. وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا قصّروا في حفظه ولا ترُفع عنهم حتى يحفظوه[2].

إن رغبة تعلم العربية واضحة عند الأفارقة؛ فمن السنغال إلى الصومال يتعلمها التلاميذ في الكتاتيب القرآنية قبل سن الدراسة، ولا يتعلمون اللغة العربية من الجانب الديني فحسب، بل كذلك ليندمجوا بواسطتها في نوع من الثقافة والحضارة الراقيتين. ورغم وجود بعض المدارس العربية التى تُعْطي تعليمًا عربيًا نوعًا ما مثل مدرسة تنبكت وسيغو وغيرها. فالطلاب الأفارقة يطمحون إلى تعليم عربي أرقى بعيدًا عن ديارهم في المعاهد الكلاسيكية مثل: بوتيليميت بمرمريتادنيا التي ضمت فى الخمسينيات من 200 إلى 300 طالب إفريقي قدموا إليها من جميع نواحي إفريقيا السوداء، وكانت جامعة الزيتونة تضم خلال نفس الفترة ما يقرب من أربعين (40) طالبا قدموا إليها من مالي. كما كانت تحتضن جامعة الأزهر حوالي 859 طالبا قدموا إليها من السودان، و 64 طالبا من تشاد، و 146 طالبا قدموا إليها من السنغال. وهذا الميل إلى تعلم اللغة العربية لا يقتصر على الأفارقة المسلمين، بل يتعدى ذلك ليضم الفئات الأخرى الإفريقية التي لا تدين بالإسلام[3].

أليست هذه الأرقام دليلاً قاطعًا على مدى تعلق الأفارقة باللغة العربية، وتعلمها باعتبارها عاملا حضاريا لا يتجزأ عن الحضارة الإسلامية التي ينتمون إليها؟!

---

(1) ابن بطوطة ـ رحلة ابن بطوطة ـ بيروت 1964 ـ الطبعة الحديثة ص 690.

(2) يقول ابن بطوطة في هذا الصدد مايلي: (رحلة ابن بطوطة ص 690) «. . . . ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون، فقلت له: ألا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظوا القرآن، ومررت يوما بشاب منهم (يقصد أهل السودان) حسن الصورة عليه ثياب فاخرة، وفي رجله قيد ثقيل، فقلت لمن كان معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم علي الشاب وضحك وقيل لي: إنما قيد حتى يحفظ القرآن».

(3) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir en Marche le Monde 14/15-6/1960.

ـ تأثير ثقافة الإسلام في الثقافة المحلية:

شكلت الكتابة العربية لعدة قرون عاملاً حضاريًا مشتركًا للحضارة المحلية في السنغال، حيث استعملتها هذه الأخيرة لكتابة لغاتها المحلية، ولولا اللغة العربية لبقيت هذه اللغات، مثل: السواحلية والفلانية وغيرها، لغات شفوية لا كتابة لها. وقد ساهمت اللغة العربية في إثراء اللغات المحلية الإفريقية بنسبة 50%، وذلك في ميدان المحادثة، وساهم التعريب في نشر الحضارة الإسلامية في السنغال رغم بعض العراقيل التي اعترضت طريقه والنقائص التي اتسم بها[1].

إن للكتاتيب القرآنية في السنغال آفاقًا واسعةً من حيث أهميتها الثقافية والحضارية، وذلك عكس ما يدعيه بعض المؤلفين الغربيين[2]. وتكمن هذه الأهمية خاصة في الحفاظ على التراث العربي الإسلامي في المنطقة، فضلاً عن أنها تشكل أرضية خصبة للدخول في عالم الحضارة العربية[3] الإسلامية.

وتبدو تأثيرات اللغة العربية على اللغات المحلية في السنغال إيجابية جليّة، وبصفة إيجابية على جميع المستويات، حيث مثلّت العامل المشترك للثقافات المحلية المختلفة، وطبعتها بطابعها الخاص[4].

وبقيت إفريقيا بدون كتابة حتى مجيء العرب إلى جنوب صحرائها، ونقل العرب معهم حضارتهم إلى هذه القارة فساد الإسلام في جزء هام من البلاد، وانتشرت كتابة اللغة العربية والشريعة القرآنية، ونقل العرب إلى المنطقة بعض الفليات ونباتات الأدوية، وربطوا إفريقيا السوداء ثقافيا وسياسيا ببقية العالم الذي كانت منعزلة عنه سابقا تماما، ووجود الامبراطوريات الإفريقية القديمة، مثل:

---

(1) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir: pp 225 à 229.

(2) G. HARDY: L'Ens. au Senegal p18- A. GOUILLY: pp 221 à 223 L. SONOLET: L" Ens. En A. O. F. (C. A. N.) Paris 1913 p. 74 à 80.

(3) Afrique et Asie - No 4 1953 P. 6.

(4) V. MONTEUIL: "L' Islam Noir p. 229.

مالي، وسنغاى والكانم ـ بدنو وحتى المتواضعة منها، مثل: سلطنة الشرق الإفريقي وغيرها مدين بالكثير إلى الحضارة العربية، وإلى التنظيم العربى والأطر المسلمة[1] التي ساعدتها على النمو والتطور.

4- التعليم القرآنى ودوره في المحافظة على الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا:

أهم مراكز الكتاتيب القرآنية :

وصل عدد الكتاتيب القرآنية في السنغال، وذلك حسب الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية في سنة 1912، إلى ما يقرب من 1.395[2]* كتابًا يدرس فيه القرآن الكريم حسب الطريقة التقليدية المعروفة التي سادت جميع الأقطار الإسلامية منذ أقدم العصور وإلى يومنا هذا، وربما كانت الكتاتيب القرآنية الوسيلة الوحيدة التي نشرت بواسطتها اللغة العربية في السنغال والتي حافظت عليها منذ عشرة قرون خلت، وأهم مراكزها هي: **دكار**: (DAKAR).

تذكر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية لسنة 1912 أن عدد الكتاتيب القرآنية في مدينة دكار يقدر بثلاثين (30) كتابًا، وعدد المعلمين هو نفس عدد الكتاتيب، لأن كل معلم كان يشرف بمفرده على محل واحد أو كتاب واحد. وكلهم على المذهب التيجاني، ماعدا اثنان منها فهما على المذهب القادري. أما عدد التلاميذ ذكورا وإناثا، فقد قدرته الإحصاءات السابقة بما يقرب من 673 تلميذًا، 49 منهم من يلتحقون بالمدارس الفرنسية. وفي ضواحي دكار، تقريبًا حتى الرأس الأخضر (CAP-Vert) يوجد بها حوالي 18 معلمًا، خمسة عشر (15) معلمًا على المذهب التيجاني، وثلاثة منهم ينتمون إلى المذهب القادري، وعدد تلاميذ ضواحى دكار فقد قدرته الإدارة الفرنسية خلال نفس السنة المذكورة سابقا بما يقرب من 122 تلميذا من بينهم 17 يتعلمون اللغة الفرنسية في المدارس الحكومية[3]*.

---

(1) R. MAUNY: P. 185.

(2) Archives: "A. O. M" Annexe de Paris, Rueodinot, Dossiet SENEGAL na 10.

(3) Archives: "A. O. M" Annexe de Paris: ibid.

لوقا ونواحيها (Louga) :

كان القرآن الكريم يُدرّس خلال سنة 1911 فيما يقرب من 147 كتابًا في لوقا ونواحيها. ويشرف على التعليم في هذه الكتاتيب 147 معلمًا[1].

وينقسم معلمو لوقا ونواحيها بين الطريقتين الصوفيتين المشهورتين في السنغال، فمائة وست وخمسون (156) منهم من ينتمون إلى الطريقة التيجانية وواحد وتسعون (91) منهم ينتمون إلى الطريقة القادرية. أما عدد تلاميذ لوقا ونواحيها فقد قدرته الإحصائيات الفرنسية في نهاية سنة 1912 بما يقرب من ثمانمائة وعشرين تلميذًا (820). ولا يلتحق واحد من هؤلاء التلاميذ بالمدارس الحكومية الفرنسية[2].

والملاحظ أنه حتى سنة 1912، كان هناك عدد من الدوائر وبعض المناطق في السنغال، تكاد تخلو من الأطفال المتعلمين باللغة الفرنسية، بل التعليم الفرنسي في بعض المناطق منعدم تماما، وذلك مثل دائرة لوقا التي سبق ذكرها ودكانا (Dagana) ونواحيها، وسالدى (Saldey)، وباؤول (Paoul)، وميانى، وولي (Miani Ouli)، وماكا (Maka).

ويبدو أن سبب نجاح الكتاتيب وانتشارها في السنغال يعود إلى قلة المؤسسات الفرنسية أو إلى عدم وجودها إطلاقاً في المناطق المذكورة سابقاً، بل في غرب إفريقيا بكاملها[3].

باؤول ونواحيها :

تشير الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد الكتاتيب القرآنية قد بلغ في نهاية سنة 1912 ما يقرب من 134 كتاباً في دائرة باؤول ونواحيها،

(1) ARCHIVES: "A. O. M." Dossier SENEGAL No 10, ibid.

(2) تشير الإحصائيات الفرنسية إلى عدم التحاق أطفال المناطق المذكورة بالمدارس الفرنسية والحقيقة أننا لا نعلم إذا كانت هناك مؤسسات فرنسية أم لا، وأن عدم التحاق الأطفال راجع إلى عدم رغبتهم في تعلم الفرنسية.

(3) M. CARDAIRE: L'Islan et le Territoir Africain P. 120.

ويدرس بهذه الكتاتيب حوالي 134 معلما، 54 منهم على المذهب التيجاني، و 80 على المذهب القادري. أما عدد التلاميذ الذين يزاولون تعليمهم في هذه الكتاتيب فقد قدرت الإحصاءات الرسمية الفرنسية عددهم بحوالي 1.357 تلميذا[1].

وتعتبر باؤول من أهم مراكز التعليم العربي في السنغال بحيث تحتل المرتبة الثالثة بعد سان لويس ومنطقة الكايور. أما التلاميذ الذين يتعلمون في الكتاب في باؤول وضواحيها فلم يكن واحد من بينهم مسجلا في المدارس الفرنسية، وذلك حتى تاريخ سنة 1912[2].

ريفيسك (Rufisgue) :

أما في ريفيسك فقد قدر عدد الكتاتيب في نهاية سنة 1912 بأربعة عشر (14) كتابا يدرس فيها القرآن الكريم. وعدد معلميها فقد قدر أيضا بنفس عدد الكتاتيب. اثنان منهم على المذهب القادري، واثنا عشر ينتمون إلى الطريقة التيجانية. أما عدد تلاميذ ريفيسك فقد قدرته إحصائيات الإدارة الفرنسية بأربعين وثلاثمائة (340) تلميذ وذلك خلال التاريخ المذكور، وبين هؤلاء التلاميذ اثنا عشر (12) يزاولون تعليمهم في المدارس الفرنسية إلى جانب تعلّم اللغة العربية وحفظ القرآن في الكتاتيب[3].

سان لويس (Stlouis) :

تعتبر سان لويس أهم مركز للتعليم العربي في السنغال، بحيث قدرت الإحصائيات الفرنسية وذلك في نهاية سنة 1912 عدد الكتاتيب القرآنية الموجودة فيها بما يقرب من سبع وسبعين كتاباً (77). أما عدد معلمي هذه الكتاتيب فقد

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) نفس المصدر السابق: أرشيف ما وراء البحار باريس.

قدر بنفس عددها، أي سبع وسبعين معلما منهم 35 على المذهب الصوفي التيجاني و 24 على المذهب القادري، وقد قدر عدد التلاميذ في سان لويس وذلك خلال نفس السنة المذكورة بألفين وأحد عشر تلميذا (2011). ويلتحق من بين هؤلاء التلاميذ بالمدارس الفرنسية الحكومية ما يقرب من ثلاثمائة (300) تلميذ، يزاولون تعليمهم الفرنسي إلى جانب تعليمهم العربي في الكتاتيب[1].

ولم تفقد سان لويس أهميتها الثقافية في عهد الفرنسيين، بل ركزت عليها الإدارة الفرنسية وعرفت نشاطًا ثقافيًا ملحوظًا وخاصةً في عهد فيديرب[2] الذي أنشأ بها مدارس ابتدائية فرنسية، وسعى جاهدًا لبعث التعليم الفرنسي في السنغال. وبعد فيديرب أنشئت بسان لويس مؤسسات للتعليم الفرنسي على مختلف أنواعه، ونذكر من هذه المؤسسات على سبيل المثال مايلي: مدرسة فيديرب للتعليم الإداري والتجاري، وثانوية فيديرب التى أنشئت بقرار 20 جوان 1919، والمدرسة العليا لتخريج المتعلمين، والمدرسة الفلاحية لتخريج التقنيين الفلاحيين، ومدرسة لتكوين الأطر المتوسطة للإدارة في مختلف فروعها، منها ماهي مختصة في الإدارة العامة، مثل: الجمارك والبريد والحسابة وغير ذلك[3].

كايور ونواحيها (CAYOR) :

بلغ عدد الكتاتيب القرآنية في كايور ونواحيها حسب إحصائيات الإدارة الفرنسية لسنة 1912 ما يقرب من 228 كتابا. أما عدد معلمي هذه الكتاتيب فقد قدر بنفس عددها، أي 228 معلمًا، منهم 130 معلمًا ينتمون إلى الطريقة التيجانية كمذهب صوفي، و28 ينتمون إلى الطريقة القادرية، ويعلم هؤلاء المعلمون ما يقرب من ألفي تلميذ (2000) يلتحق من بينهم 88 بالمدرس الحكومية الفرنسية إلى جانب التحاقهم بالكتاتيب القرآنية.

---

(1) نفس المرجع: أرشيف ما وراء البحار باريس.

(2) A. SARAUT: opiur, P. 400.

(3) ARCHIVES: "A. O. M." Annexe de Paris: op. at.

جدول عام للكتاتيب القرآنية في السنغال، كل دائرة على حدة[1]

الدائـــــــرة	الكتاتيب القرآنية	مذهـــب شيـوخ الكتاتيـب		عـذ التلاميذ	الملتحقون بالمدارس الفرنسية
		التيجاني	القادري		
دكار	30	28	2	673	49
نواحي دكار	18	15	3	122	17
ريفيسك	14	12	2	340	12
سان لويس	77	35	42	2011	800
دائرة تياس	30	27	8	100	4
دائرة كابور	218	130	88	1978	33
دائرة لوقا	247	156	91	820	=
دائرة دغانه	58	45	12	330	=
دائرة بودور	111	109	2	643	41
دائرة سالدي	76	49	27	281	=
دائرة ماتـــام	40	36	4	326	17
دائرة بساكـــال	91	60	31	695	30
دائرة بـــاؤول	134	54	80	1357	=
دائرة سيـــني سالوم (كاولاك)	131	102	26	721	73
دائرة ميان أولي (ماكا)	13	12	1	53	=
دائرة جانبيا العليا (كودوقو)	36	14	32	200	6
دائرة كازامالس (زيقاندور)	61	17	44	905	11
المجمـــــوع	**1.385**	**902**	**483**	**11.451**	**633**

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

والجدول السابق يبين لنا توزيع مراكز الكتاتيب في السنغال عبر الدوائر، ويفيدنا بأعدادها، والنزعة الصوفية لكل معلم من معلمي الكتاب، كما يوضح الجدول عدد تلاميذ الكتاتيب، والذين يتعلمون منهم في المدارس الحكومية الفرنسية، التي وضع ركائزها الجنرال فيديرب[1]، في سنة 1854، في السنغال، لتنتشر بعد ذلك في كامل إفريقيا الغربية.

ويوضح الجدول السابق، أن عدد تلاميذ الكتاتيب في السنغال قد بلغ 11.451 تلميذا يدرسون اللغة العربية ومبادئ الشريعة الإسلامية.

ويشرف على تعليم هؤلاء التلاميذ ما يقرب من 1.385 معلمًا، وذلك حتى نهاية سنة 1912 م.

والملاحظ أنه حتى سنة 1912 لم يُبْد أهل السنغال رغبة كبيرة في إرسال أبنائهم إلى المدارس الحكومية الفرنسية. ويتجلى ذلك واضحًا من خلال الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية، حيث نجد أنه من بين 11.451 تلميذًا سنغالياً لا يلتحق بالمدارس الفرنسية إلاعدد ضئيل من بين هؤلاء الأطفال يتمثل فيما يقرب من 633 تلميذا[2] ويبدو أن سبب ذلك يرجع إلى عدم توفر المؤسسات الفرنسية في البلاد، علما بأن اهتمام الحكومة الفرنسية بالأفراد المسيحيين السنغاليين كان كبيرا، إذ وفرت لهم المدارس الدينية التي كان يشرف عليها الآباء البيض بينما أهملت أغلبية السكان السنغاليين المسلمين. ولقد أشار إلى ذلك السيد فيديرب في إحدى رسائله التي وجهها إلى وزير المستعمرات، ويقول فيها مايلي[3]:

---

(1) «فيديرب: كان فيديرب ضابطا عسكريا في فرنسا لا شأن له، ثم عمل في الجزائر تحت قيادة الجنرال بيجو. أما في السنغال فقد أثبت جدارته كقائد عسكري وكحاكم إداري ذو كفاءة عالية، وقد وضع الأسس الأولى للادارة المحلية في السنغال ويعتبر أول فرنسي سيطر على مسرح الأحداث السياسية في السنغال. عين في سنة 1854 كحاكم على السنغال وذلك حتى سنة 1865 وخلال هذه الفترة انقطع مرة واحدة عن مهمته بين سنتي 1861 ، 1863 خلفه فيها الحاكم جوري فيبيري (Jauré Gui berry) الذي تقلد منصب وزير البحرية في سنة 1879، ثم عاد فيديرب بعد انقطاعه إلى السنغال حتى سنة 1865.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

انظر تقرير فيديرب بتاريخ 1856/7/9 ملحق رقم 3.

«. . . من بين 50.000 من الأهالي السنغاليين فالمسيحيين الذين يقدر عددهم بألفي (2.000) شخص لهم مدارس دينية يشرف عليها الآباء البيض، ولكن 48.000 من الأشخاص المسلمين ليس لديهم أية وسيلة لتعلم لغتنا (يقصد اللغة الفرنسية) لكي يندمجوا تدريجيا في مجتمعنا. . هذا ياسيادة الوزير لا يشرف فرنسا. . .»[1].

ومن خلال دراسة جدول المعلمين للكتاتيب القرآنية لمدينة دكار يبدو أن التعليم في الكتاتيب مقتصر على ثلاث قبائل، وذلك من بين القبائل المتعددة التي تقطن السنغال. وهذه القبائل هي كالتالي مرتبة حسب مشاركة عدد أفرادها المنتمين لها في مهنة التعليم[2].

قبيلة لوبو (Lobo) وتأتي في المرتبة الأولى، حيث نجد أن عدد المعلمين الذين ينحدرون من هذه القبيلة، والممارسين لمهنة التعليم العربي يقدر عددهم بـ 13 معلما من بين 30 معلما الموجودين في مدينة دكار.

وتأتي مباشرة بعد قبيلة لوبو، قبيلة الوولوف (Oulof) المشهورة بحماسها وتدعيمها للدّين الإسلامي في المنطقة عبر العصور. واتخذت قبيلة الوولوف الكتابة العربية لكتابة لغتها المحلية وذلك منذ دخول الإسلام للسنغال[3]. ويقدر عدد معلمي الكتاتيب في مدينة دكار، الذين ينحدرون من أصل وولوف بـ 9 معلمين.

أما قبيلة التكرور وهي كذلك من أشهر القبائل المساندة للإسلام، والتي عملت جاهدة على نشره في السودان الغربي بين الزنوج الوثنيين وذلك بقيادة زعيمها الحاج عمر خلال القرون الحديثة[4]. وتأتي في المرتبة الثالثة وذلك حسب مشاركة عدد أفرادها في مهنة التعليم في مدينة دكار حيث يقدر عددهم بـ 8 معلمين.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال ص 79.

(3) انظر رموني: ص 5، انظر كذلك ف. مونتوي: ص 225.

(4) انظر مونتوي: ص 222.

5- المعلمون ومكانتهم الاجتماعية والثقافية :

يذهب بعض المؤلفين الغربيين إلى القول، «إن معلمي الكتاتيب في السنغال لا يعرفون شيئًا من اللغة العربية ويدرسون لغة لا يعرفونها، وأنهم يدرّسون للأطفال مبادئ الكتابة العربية التي لا تخول لهم أبدًا قراءة نص عربي. أما المعلمون ذوي الكفاءات الثقافية والدينية فلا يلقنون هذه الثقافة إلا لعدد ضئيل من التلاميذ الشيء الذى جعل الطلبة ينتقلون من مكان إلى آخر بحثًا عن المزيد من الثقافة العربية[1]، بعيدًا عن ديارهم».

وكان التكوين الثقافي لمعلمي الكتاتيب في السنغال مقتصرًا على حفظ القرآن الكريم ومبادئ الشريعة الإسلامية وذلك في مراكز الطرق الصوفية في البلاد وبخاصة منها: التيجانية والقادرية[2].

ومن خلال إحصائيات الإدارة الفرنسية لسنة 1912 م يتضح جليًا تفوق الطريقة التيجانية وانتشارها عبر السنغال، على منافستها الطريقة الصوفية القادرية؛ ذلك لأننا نجد من بين 30 معلمًا للكتاب في مدينة دكار وحدها، 28 معلما ينتمون إلى الطريقة الصوفية التيجانية[3]. وبالتالي فهؤلاء المعلمون قد تلقوا تكوينهم في مراكز الطريقة المذكورة، ما عدا اثنين منهم فهما على المذهب القادري[4]. وتذكر الوثائق أن جل هؤلاء المعلمين قد درسوا دراسات دينية فقهية بحتة، واستندت دراساتهم هذه على كتابين أساسيين[5]. وهما: رسالة ابن أبي زيد القيرواني[6] وأصول الفقة للأخضري[7].

---

(1) M. CARDAIRE/ PP 114 - 115.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال.

(3) انظر البطاقة الشخصية للمعلم: مورمار امدوم ـ وثيقة مترجمة حرفيا/ ملحق.

(4) انظر جدول معلمي الكتاب في السنغال.

(5) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(*) انظر بطاقة المعلم مورمار امدوم.

(6) ابن أبي زيد القيرواني: رسالة ابن أبي زيد القيرواني على مذهب مالك ـ القاهرة 1323 هـ. 335 ص.

(7) الأخضري محمد: أصول الفقة ـ ط/ 2 ـ القاهرة ـ 1962 ـ 431 ص.

ويبدو أن هذه الدراسة كانت سطحية للغاية، علما بأن الوثائق تؤكد على أن أغلب معلمي الكتاتيب لا يحسنون اللغة العربية ولا يلمون بها إلمامًا كافيًا[1]. وهؤلاء المعلمون قد درسوا دراسة محلية. أما الصف الثاني منهم الذي انتقل إلى خارج السنغال وطلب العلم في معاهد القيروان وطرابلس وفاس والقاهرة فيختلفون جذريًا من حيث تكوينهم الثقافي، ولإلمامهم باللغة العربية. وقد درس كثير من هؤلاء المعلمين في المعاهد المذكورة. فإذا ما أتموّا دراستهم، أصبح كثير منهم دعاة دينيون ومعلمون في بلادهم الأصلية. وإذا نال المعلم حظًا موفورًا من العلم والمعرفة استطاع أن يؤثر في الجماعات التي يعيش بينها ونال بينهم مكانة اجتماعية مرموقة[2].

ويحظى المعلمون في السنغال بأقصى نصيب من التقدير، وفي بعض قبائل إفريقيا الغربية تضم كل قرية دارًا لاستقبال هؤلاء المعلمين، ويعتبر الرؤساء أصحاب المناصب غير الدينية أقل هيبة وتقديرًا من هؤلاء المعلمين. وفي الدول الإسلامية التي اتخذ فيها القرآن أساسًا للحكم تحتاج هذه الدول إلى خدمات هؤلاء المعلمين وخاصة في المسائل الدينية وتفسير معاني القرآن الكريم[3]، ونشر شريعته.

وهذا التقدير والاحترام اللذين يحظى بهما المعلمون في السنغال من طرف الأهالي والسلطة تقليديان في إفريقيا الغربية، ويقول حسن الوزان: «لقد كان الأساتذة يحظون باحترام خاص من طرف سلطان تنبكت. ولهذا كانت تستورد الكتب العربية المخطوطة بالأيدي من شمال إفريقيا وتباع بأثمان باهظة، والمتاجر بهذه الكتب يقتني أرباحا كبيرة أكثر من بعض تجار المواد الغذائية والألبسة أو العبيد»[4].

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(2) د/ حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه ص 114.

(3) د/ حسن إبراهيم حسن: المرجع نفسه.

(4) الحسن الوزان ـ ليون الإفريقي: ج 3 ص 91.

وفي عهد مملكة سنغاي، كان الأساقيون يسألون العلماء عن سنة الرسول ﷺ ويتبعون أقوالهم ولا يقف الأسقيا لأحد من حاشيته أو المقربين إليه إلا للعلماء والحجاج عند ما يعودون من مكة، ولا يشارك الأسقيا في طعامه إلا العلماء والأشراف وأولادهم[1].

وقد كان العلماء يحظون برضا الأساقيين وخاصة في عهد الأسقيا أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، الذي كان يحب المعلمين والأتقياء وطلاب العلم. وقد كان يجزل لهم العطاء ويوزع عليهم بسخاء الثروات. . .[2].

ولعل مملكة سنغاى كانت أكثر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا اهتمامًا بقضية نشر التعليم وتشجيع رجال التعليم والطلبة. واحترامًا لمراكز التعليم، فلا يدخلها السلطان أو رجال الحكم إلا في المناسبات الدينية فقط[3].

إذن كان معلمو الكتاب في إفريقيا الغربية يحظون بمكانة اجتماعية مرموقة، ويحظون بالتقدير والاحترام من طرف العام والخاص، وربما فاق ذلك أصحاب المناصب الدنيوية. ولا يزال معلمو الكتاب في السنغال حتى الآن يحظون بنفس التقدير والاحترام اللذين حظي بهما زملاؤهم سابقا.

أما عن توزيع معلمي الكتاب عبر مدينة دكار، فالجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن ذلك، كما يبين الجدول أصل كل معلم، والطريقة الصوفية التي ينتمي إليها، وعدد التلاميذ الذين يشرف على تعليمهم ذكورًا وإناثًا والملتحقون منهم بالمدارس الفرنسية.

---

(1) محمد كعت: تاريخ الفتاش ص 114.

(2) محمد كعت: ص 115.

(3) د/ عبد القادر زبادية: ص 141.

جدول معلمي الكتاتيب القرآنية في دكار[1]

الرقم	الدائـــــــرة	القبيلة	المذهب الديني	عدد التلاميذ	ذكور	إناث	المنتمون للمدارس الفرنسية
1	مومار امدوم	وولوف	تيجاني	20	16	4	4
2	امادو مختار ديوب	لوبو	=	15	10	3	=
3	امادو خان	تكرور	=	74	70	4	5
4	حادي خان	= = =	=	45	36	9	=
5	فهدار ديوب	وولوف	=	23	177	6	4
6	ليبرلو بيلاديا	تكرور	=	12	9	3	=
7	أمادو سعيد وخان	= = =	=	22	15	7	7
8	ديابي لوم	وولوف	=	24	21	3	4
9	امادو لمين دام	تكرور	=	10	10	=	=
10	قربيريل ديان	لوبو	=	32	18	4	3
11	عسان الدوي	= = =	=	58	48	15	5
12	نيبرنو بومبا صاك	تكرور	=	33	25	8	2
13	أبرن انديباى قاي	لوبو	=	28	277	1	4
14	ابراهيم قاي	= = =	=	45	40	5	3
15	بدول هيري	تكرور	=	29	24	=	2
16	ماليو سيسي	وولوف	=	4	4	=	=
17	اجاي ديول	لوبو	=	13	9	4	2
18	ماليو تان بدرجان	= = =	=	8	7	1	=
19	ميفا انديايي	= = =	=	45	45	=	=
20	ختار قاى	= = =	=	13	6	7	1
21	بوبكر باح	تكرور	=	20	18	2	=
22	جمار كوندى	وولوف	=	11	4	7	=
23	صدو ديوب	= = =	=	20	13	7	=
24	ادبو اندوي	لوبو	=	9	6	3	=
25	مادوم قاى	= = =	=	=	=	=	1
26	قوره لسو	وولوف	=	25	13	2	=
27	سليمان امباي	لوبو	=	8	6	2	=
28	ثمان صال	وولوف	قادرى	6	5	1	=
29	تياوه كوناري	= = =	تيجاني	21	20	=	=
30	سياكان باي	لوبو	قادرى	2	2	=	2
				672	**545**	**127**	**127**

(1) ARCHIVES: S. O. M. Dossier SENEGAL No 10.

والمتتبع للجدول السابق، أي جدول معلمي الكتاب في مدينة دكار يلاحظ أن التلاميذ الذين يلتحقون بالمدارس الفرنسية من بين مجموع تلاميذ الكتاب عددهم ضئيل جدًا، إذ إن الجدول يبين أن عدد التلاميذ الذين يدرسون في الكتاب في مدينة دكار وحدها يقدر عددهم بما يقرب من 672 تلميذًا، 545 منهم ذكورًا و 127 إناثًا[1]. أما الذين يلتحقون من بينهم بالمدارس الحكومية الفرنسية فلم يقدر عددهم إلا بما يقرب من 49 تلميذا وكلهم ذكور[2].

ويبدو من خلال هذه الأرقام[3] إقدام السنغاليين على تعلم اللغة العربية وتفضيلها على اللغة الفرنسية وذلك على الأقل حتى سنة 1912 م تاريخ الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية[4].

أما عن معاش معلمي الكتاتيب في السنغال فكان يتمثل في الإعانات التي تقدمها لهم المدينة أو القرية عامة، وكانت العائلات التي لم تنجب أطفالا تساهم هي الأخرى في هذه الإعانات[5].

وعادة ما يعتمد معلمو الكتاتيب في معاشهم على الزراعة بالدرجة الأولى وعلى الخدمات التي يقدمها تلاميذهم لهم[6].

ويقف جل المؤلفين الغربيين أمثال: الفونس غوي[7]، وفانسا مونتوي[8]، وجورج هاردي[9]، ودونير بوش[10]، وغيرهم موقفا مناوئا من قضية

(1) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة.

(2) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة.

(3) انظر جدول معلمي الكتاب في دكار الصفحة السابقة، والجدول العام للكتاتيب في السنغال.

(4) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(5) نعيم قداح: ص 169.

(6) V. MONTEUIL: P. 142.

(7) A. GOUILLY: P. 222.

(8) V. MONTEUIL: L'Islam Noir P. 142.

(9) G. HARDY: Une Conquêtte Mor. L'Ens. P. 157.

(10) D. BOUCHE: (Thèse) P.279.

الخدمات التي يقدمها التلاميذ إلى أساتذتهم، بل يعتبر بعضهم هذا العمل الذى يُقدم عليه المعلمون[1] في السنغال استغلالاً للتلاميذ وخرقًا صارخًا لحقوق الإنسان.

ولكن الحقيقة ليست كذلك... فعلاً، فالتلميذ السنغالي يحتطب، ثم يبيع حطبه، ويسلم ثمنه إلى معلمه في الكتاب أو في المدرسة، ويجلب له الماء، ويقوم بخدمة زراعته في أوقات فراغه، أي قبل ساعات الدراسة أو بعدها. ولكن مقابل ذلك يتكفل المعلم بكل مصاريف التلاميذ وتعليمهم، مع إسكانهم في داره أو في دارٍ خاصة بهم تسمى «دارا». علمًا بأن هذه الوضعية مقتصرة على التلاميذ الذين يأتون من أماكن بعيدة وبعلم من آبائهم[2].

وأين الاستغلال هنا أو الخرق لحقوق الإنسان؟

وفي وقت كانت فيه الكتب الدراسية نادرة ومتوارثة فالتلاميذ الذين يرغبون في اقتناء هذه الكتب وخاصة منها الكتب الفقهية التي ذكرناها سابقا، يتجه التلاميذ إلى المعلم الذي في حوزته هذه الكتب وينسخونها، وذلك مقابل خدمات يقدمونها إلى هذا المعلم، خاصة في المواسم الزراعية حيث يحتاج المعلمون إلى من يساعدهم في خدمة زراعتهم[3].

وشهدت حركة التعليم العربي المتمثلة خاصة في الكتاتيب القرآنية في السنغال، بعض التطورات الكمية؛ وذلك بين سنتي 1909-1912[4].

والجدول التالى يقارن بين الكتاتيب القرآنية خلال السنتين المذكورتين، ويوضح عدد الكتاب ومجموع التلاميذ معًا.

---

(1) «يثور المؤلفون الغربيون على معلمي الكتاب بعنف لأنهم يدفعون الأطفال إلى الشحاذة حسب رأيهم. لكن هؤلاء الأطفال قد يتخلى عنهم أولا آباؤهم كلية للمعلمين وقد يكون المعلم ضعيف الإمكانيات في بعض الأحيان وربما ذلك هو السبب الذي يجعله يدفع بهم إلى الشحاذة».

(2) استجواب السيد: ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(3) الاستجواب نفسه.

(4) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

جدول مقارنة الكتاتيب القرآنية

في السنغال بين سنتي 1912/1909[1]

يبدو أنه قبل سنة 1912، فالإحصائيات عديمة الوجود أو ناقصة جدا[1].

وفيما يخص سنة 1909 فقط تبدو الأرقام المعطاة لها شيء من الأهمية؛ والأرقام المذكورة في هذا الجدول تبين تقارب السنتين كميًا. ومن خلال هذه الأرقام يمكن استخلاص التطور الكمي للكتاتيب القرآنية بين سنتي 1912-1909 .

السنة	عدد الكتاتيب	مجموع التلاميذ
1909	1316	10717
1912	1385	11415

6- التعليم الحر ودوره في دعم الدين والثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا:

المدارس الحرة وبرامجها:

ارتبط التعليم العربي ارتباطا وثيقا بالدين في السنغال وبالتالي فقد ألحقت المدارس في أول أمرها بالمساجد. وخصصت إلى جانب كل مسجد غرفة أو غرف للتعليم، كما خصصت غرف لنوم التلاميذ الذين قدموا من المناطق البعيدة[2].

والمعلوم أن المساجد كانت ولا تزال حتى الآن مقرًا للتعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية. حيث كانت تعقد حلقات ثقافية لهذه الغاية، ومن ثم كانت المساجد بمثابة مراكز لإشعاع اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) نعيم قداح: ص 157-160 .

وبزيادة تأثير الطرق الصوفية والمرابطين من السنغاليين ونشرهم للثقافة العربية بينهم من جهة وتوطيد ركائز الإسلام في البلاد من جهة أخرى ألحقت المدارس بالرباط. ثم ألحقت المدارس بعد ذلك بالزوايا على مختلف مذاهبها[1].

أما في القرى النائية السنغالية الخالية من المدارس فكان الأطفال يتجمعون حول الدعاة ويكونون حلقة حولهم ويدرسون على هذه الطريقة[2].

وأخذ الأساتذة العرب الذين قدموا من شمال إفريقيا على عاتقهم مهمة التعليم في أول الأمر. وبعد مدة تولى مهمة التعليم نخبة من أبناء السنغال، وكان جلهم من رجال الدين الذين تثقفوا ثقافة عربية في داخل البلاد أو خارجها[3].

وكان التعليم في هذه المدارس يعطى مجانًا وبدون مقابل، الأمر الذي شجع التلاميذ على الالتحاق بهذه المدارس التي انتشرت في السنغال بصفة ملحوظة[4]. وعادة ما يلتحق التلاميذ بالمدارس في سن الخامسة[5]. وفي بعض الأحيان يرسل هؤلاء الأطفال إلى المراكز الثقافية الإسلامية التي اشتهرت بسمعتها الثقافية في العالم الإسلامي[6]. أو يوفد إليهم المعلمون الذين يتعاطون مهنة التجارة، وفي بعض مدارس السنغال يتعلم التلاميذ في هذه الأخيرة ساعة قبل شروق الشمس وساعة قبل غروبها وذلك حتى يستطيعوا إعانة أهلهم في إعمالهم اليومية.

أما مناهج التعليم في هذه المدارس فتكاد تكون شبيهة ببعضها البعض. وتعليمها يدور حول محور أساسي؛ وهو نشر الدين الإسلامي، وبالتالي فهذه المدارس تعتني بالدرجة الأولى بتعليم الفرائض الدينية، وتلاوة القرآن وحفظه

---

(1) V. MONTEUIL: op; ut, P. 222.

(2) نعيم قداح: المرجع نفسه.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.*

(*) انظر تقرير المسئول السامي المسيحي... «الذى يلح فيه على طرد الأساتذة العرب الذين يعلمون في السنغال ويسميهم بالغرباء».

(4) مارسيل كاردير: ص 114-115 .

(5) من المقاييس التي يعتمد عليها السنغاليون لاختيار كفاءة الطفل للالتحاق بالكتاب هو أنه عندما يستطيع هذا الأخير أن يعد إلى عشرة بدون خطأ فتلك علامة على استعداد الطفل لتلقي المعلومات في الكتاب.

(6) V. MON. P 222.

وتفسيره باللغة العربية أحيانا أو باللغة المحلية أحيانًا أخرى. أما طلاب الفرق الراقية فيدرسون الحديث الشريف وأصول الفقة والتوحيد والأدب العربي وقواعد اللغة العربية[1].

7- برامج التعليم التقليدي ومراحله :

وعمومًا فمراحل التعليم التقليدى العربي في السنغال تنقسم إلى ثلاث مراحل وهي كالتالي[2]:

المرحلة الأولى :

وهي التحاق التلميذ بالكتاب، أي بالمرحلة الابتدائية. ويبدأ التلميذ في هذه المرحلة بتعلم الحروف الهجائية العربية، ومبادئ الكتابة، وبعد إتقان القراءة والكتابة يشرع في حفظ القرآن الكريم شيئا فشيئا[3]. ويكتب التلميذ من القرآن الكريم ما استطاع على حفظه، أي حسب طاقته الفكرية. وعادةً ما يكتب التلاميذ في هذه المرحلة ثمن حزب من القرآن الكريم[4]. وهكذا تدريجيا حتى ينتهي التلميذ من حفظ القرآن الكريم وذلك انطلاقا من سورة الفاتحة أول سورة في القرآن إلى آخر سورة فيه بطريقة تصاعدية، ثم يُعيد التلميذ حفظ القرآن مرة أخرى بطريقة تنازلية[5].

وعند انتهاء التلميذ من حفظ القرآن تُكوّن لجنة لاختبار مدى حفظه للقرآن من بعض المعلمين، وأقرباء التلميذ، وأعيان البلد الحافظين للقرآن. ويمتحن التلميذ من طرف هذه اللجنة شفويا. وتُقَسّم اللجنة أعمالها حسب طاقة التلميذ على استعادة ما حفظه من القرآن، وقد يستمر ذلك

---

(1) V. MOBTEUIL: L' Islan Noir P. 132.

(2) استجواب السيد: (ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر) أحد طلاب الكتاتيب في السنغال بين سنتي 1956/1950، بتاريخ الأربعاء 30 مايو 1979.

(3) M. CARDAIRE: 114-115.

(4) «قد يُكتب إلى التلميذ أقل من ثمن الحزب من القرآن إذا كان هذا الأخير قليل الذكاء والاستيعاب».

(5) استجواب السيد: محمد لمين نيامنن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

بضعة أيام، ثم يمتحن التلميذ مرة أخرى كتابياً من طرف أستاذه الذي يراقب ما قام به الممتحن من أعمال، أي أن التلميذ يكتب60 حزبًا من القرآن التي حفظها ويعرضها على أستاذه تدريجيا وذلك حتى آخر سورة في القرآن[1].

المرحلة الثانية :

وهي مرحلة التحاق التلميذ بالمدرسة الحرة وذلك بعد حفظ القرآن؛ والمدرسة الحرة كانت مهمتها تكاد تقتصر على نشر الدين الإسلامي، وتعليم مبادئ الديانة الإسلامية للتلاميذ. وعادة ما تقتصر دراسة التلاميذ في المدارس الحرة على بعض الكتب الدينية واللغوية والنحوية وذلك مثل كتاب الخضري[2]. وابن زيد القيرواني[3]. وغيرهما[4].

وفي المدرسة الحرة يبدأ التلميذ في تعلم قواعد اللغة العربية. وفي مادة القواعد يركز خاصة على كتاب «الأجرومية»، ثم على كتاب «ملحمة الإعراب»[5]. ثم ينتقل إلى دراسة الأدب العربي ويبدأ بدراسة العصر الجاهلي، ثم بعض القصائد الإسلامية المشهورة[6].

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة تفسير القرآن الكريم. وقد يتجه التلميذ لإدراك معاني القرآن إلى شيخ من الشيوخ المختصين في تفسير القرآن[7].

وفي يوم نهاية تفسيرالقرآن تقام حفلة كبيرة يحضرها أهل الطلاب وبعض

---

(1) الاستجواب نفسه.

(2) سبق التعريف بالكتاب والمؤلف.

(3) سبق التعريف بالكتاب والكاتب.

(4) انظر بطاقة المعلم: مومار أمدوم وثيقة مترجمة حرفيا، فيمايلي، أرشيف ماوراء البحار ملحقة باريس.

(5) من العراقيل التي يلاقيها التلميذ في دراسته خلال المرحلتين الثانية والثالثة هو أن الكتب التي يعتمد عليها في غالبها مخطوطة.

(6) استجواب السيد: لمين نيامنن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(7) نفس الاستجواب.

الشيوخ وأعيان البلد؛ ويكلف كل طالب بأن يأتي بقلسونة وبشاش أبيض. وعند ختام التفسير يشرع الشيخ في وضع القلانيس والشيشان على رؤوس التلاميذ الممتحنين، لكي تكون علامة لهم على ذلك. وقد حرفت كلمة تفسير وصارت «تمسير» وهذه الكلمة الأخيرة قد تتخذ في السنغال كاسم لشخص ما، وتشيع معه، ويضيع اسمه الحقيقي معها. ولم تفقد الطريقة ـ التي أشرنا إليها ـ مكانتها في البلاد إلا بعد الاستقلال[1].

وقد آن لنا أن نلخص هذا الفصل، وفيما يخص كلمة السنغال واشتقاقاتها، يبدو أنها اشتقت إما من كلمة «سنغالة» وهو ما ذكره الرحالون والجغرافيون العرب خلال القرون الوسطى، أو من كلمة «ازيغان» التي تسمى بها قبائل الموريطانيين حاليًا المنطقة السفلى لنهر السنغال، ونظرًا للتشابه الكبير بين الكلمتين «سنغانة» و «ازيغان»، قد تكون الكلمة الأخيرة تحريفًا للكلمة الأولى، ومن ثم فكلمة «سنغانة» قد تكون أصل كلمة «سنغال» الحالية.

أما عن علاقة السنغال بالحضارة العربية الإسلامية فيبدو أنها ترجع إلى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلاديين. غير أن القرن الحادي عشر الميلادي كان من أزهى مراحل الحضارة العربية والدِّين الإسلامي في السنغال؛ إذ أسلمت خلال هذا القرن الأخير مملكة التكرور العظيمة، ثم قبائل الويلوف وسرا كولي وسنا نكوكي وغيرها من القبائل.

وربما كان السنغال أكثر الأمم الإفريقية تحمسًا للغة العربية وأكثر حرصًا على تعلمها وإتقانها. ومن هنا سعى السنغاليون لفرض عقوبات قاسية على أطفالهم إذا تهاونوا في تعلم اللغة العربية أو في حفظ القرآن الكريم[2].

---

(1) استجواب السيد: م. لمين نيامنن ملحق ثقافي بسفارة السنغال بالجزائر.

(2) يذكر ف. مونتوي (ص 134) «أن الحاج فاليو (محمد فاضل) مباكي زعيم الطريقة المريدية وهو الابن الثاني لامدو بامبا مؤسس الطريقة المذكورة الذي توفي في سنة 1927. «إنه كان يعلق لمدة ساعات أطفالا من عائلته، ذلك لانهم تباطأوا في حفظ القرآن».

وتتجلى رغبة السنغاليين في أكثر من مناسبة في تعلم اللغة العربية والانتماء إلى حضارتها[1]. وتعتبر الكتاتيب القرآنية في السنغال أرضية خصبة لدفع عجلة الثقافة العربية إلى الأمام من جهة، ودرعًا واقيا لها من جهة أخرى.

وتنتشر الكتاتيب القرآنية في السنغال عبر 18 دائرة أهمها: دكار، لوقا، باؤول، ريفيسك، سان لويس، وكايور، وقد قدر عدد تلاميذ الكتاتيب، وذلك في سنة 1912 بما يقرب من 11.451 تلميذًا. يشرف على تعليمهم 1385 معلمًا، ولا يلتحق من بين هؤلاء التلاميذ بالمدارس الفرنسية إلا عدد ضئيل جدًا يتمثل فيما يقرب من 633 تلميذًا.

أليست هذه الأرقام دليل قاطع على تفوق اللغة العربية على اللغة الفرنسية في السنغال من جهة، وعلى مدى تمسك السنغاليين باللغة العربية من جهة أخرى؟

8- تطور اللغة العربية في إفريقيا الغربية بين سنتي 1907-1909:

قد تكون سنتي 1907 و 1909 من أخصب فترات تطور التعليم العربي بالنسبة لإفريقيا الغربية عامة[2]، وبالنسبة للسنغال خاصة. حيث شاهدت المنطقة خلال السنتين المذكورتين حركة ثقافية عربية امتازت بنشاط كثيف[3]، قام به أهل البلاد أنفسهم، وذلك في ميدان نشر التعليم العربي بين الجماعات الإفريقية[4].

والملاحظ هنا أن الوثائق المتعلقة بالتعليم العربي، والتي تخص النيجر، وغينيا، وساحل العاج، والداهومي هذا الموضوع، علمًا بأن المراجع المكتوبة باللغة العربية أو باللغة الفرنسية هي الأخرى تكاد تكون منعدمة، بل لا وجود لها إطلاقًا. ومهما يكن من أمر، فإن المناطق المذكورة قد عرفت نشاطًا تعليميًا عربيًا هامًا؛ وذلك على غرار مناطق السنغال التي ذكرناها.

---

(1) يذكر م. كاردير: (ص 63) «أن أحد التلاميذ السنغاليين قد كتب إلى رئيس الدائرة التي ولد فيها من القاهرة حيث كان يدرس هناك، قصد تغيير اسمه وتعويضه باسم عربي».

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية.

(3) الجدول السابق نفسه: قارن السنوات الثلاث 1907 ، 1908، 1909.

(4) نعيم قداح: ص 124.

النيجر :

عرف النيجر تطوراً ملحوظًا في ميدان التعليم العربي خاصة بين سنتي 1907 و 1909، حيث تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في البلاد خلال السنتين المذكورتين كما يلي[1]:

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية
في النيجر بين سنتى 1907-1909[2].

السنـــة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	10.176	55
1908	10.622	61
1909	14.425	207

الداهومـــي :

قد يكون الداهومي من بين بلدان إفريقيا الغربية التي تأتي في المرتبة الأولى، في ميدان نشر التعليم العربي والاعتناء به، حيث تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد الكتاتيب القرآنية وذلك في نهاية سنة 1909 ـ مثلا ـ في الداهومي بما يقرب من 134 كتابًا يدرس فيها القرآن الكريم[3].

أما عدد المعلمين الذين يشرفون على التعليم في الكتاتيب المذكورة فقد قدر عددهم خلال نفس السنة المذكورة بما يقرب من 1.588 تلميذا، يعلمون ما يقرب من 1.558 تلميذا[4].

(1) دوليز بوثن: المرجع السابق ص 75.

(2) D. MONCHE: opjut, p. 701.

(3) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(4) أرشيف ماوراء البحار باريس: المصدر نفسه.

ويتوزع عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في الداهومي عبر أربع مناطق هامة في البلاد وهي كالتالى[1]:

(1) بورتوهوفو :

يقـدر عدد الكتاتيب القرآنية في بورتوهوفو خلال سنة 1909، بما يقرب من 20 كتابا، يدرس فيها حوالي 200 تلميذا.

(2) زانيانـدو :

أما زانياندو فقد تقدر الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد كتاتيبها بما يقرب من 4 كتاتيب يتعلم فيها ما يقرب من 35 تلميذًا، وذلك خلال السنة المذكورة سابقًا.

(3) بورقـو :

تقدر الإحصائيات الفرنسية عدد الكتاتيب في دائرة بورقو ونواحيها بما يقرب من 33 كتابا. يدرس فيها ما يقرب من 541 تلميذا. وقد تكون ناحية بورقو أهم منطقة في ميدان التعليم بالنسبة للمناطق الأخرى، فى الداهومي، وذلك لاستيعابها أكثر عدد التلاميذ[2] والدارسين فيها من الشبان والكهول.

(4) داجـوقـو :

وقد قدر عدد تلاميذ ناحية داجوقو بما يقرب من 350 تلميذًا، ويدرس هؤلاء التلاميذ في 25 كتابًا، وذلك خلال سنة 1909 م. والجدول التالي يعطينا صورة عامة عن توزيع الكتاتيب في الداهومي[3]:

---

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(3) المرجع السابق: أرشيف ماوراء البحار باريس.

إحصاءات التعليم العمومي[1].
مستعمـــرة الداهومي سنة: 1909
التعليم في الكتاتيب القرآنية

الدائرة	نوع التعليم	عدد المدارس	عدد الأساتذة	عدد التلاميذ	ملاحظـــة
ويداح	كتاتيب قرآنية	2	2	15	
كيتو	= =	1	1	6	
أقاني	= =	1	2	14	
باركو ونواحيها	= =	10	23	229	
نيكي	= =	23	25	312	
دجوقو	= =	6	8	86	
باتولو	= =	8	10	96	
بارابي	= =	9	9	98	
كواندي	= =	4	5	52	
بورتو عوفو	= =	20	25	200	
النيجرالمتوسط	= =	40	45	450	
المجمـــوع		**134**	**155**	**1558**	

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier DAHOMEY No 10.

غينيـــــا :

قد تعتبر غينيا أكثر البلدان الإفريقية اعتناء بنشر التعليم العربي بين المجموعات التعليمية من الأقطار الأخرى في إفريقيا الغربية؛ نظرا لاستيعابها أعدادا هائلة من التلاميذ الدارسين للغة العربية[1].

ويقول نعيم قداح نقلاً عن الرحالة الإنكليزى فرنسيس مور: «إن هذا الأخير قد وجد عام 1731 م جل أهالي غينيا يتخاطبون ويتكلمون باللغة العربية، ذلك لأنهم كانوا يتعلمونها في مدارسهم من جهة، ولأن القرآن هو شريعتهم وهو مكتوب بهذه اللغة. وعمومًا فإلمام الأفارقة باللغة العربية أكثر من إلمام أهل أوروبا باللغة اللاتينية، وأكثر سكان القارة يتكلمون اللغة العربية إلى جانب اللغة المحلية البدائية»[2].

وفي نهاية سنة 1907 تقدر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في غينيا بما يقرب من 28.023 تلميذا[3].

ويبدو من خلال الإحصاءات الفرنسية أن نسبة التعليم العربي في غينيا مرتفعة نسبيا إذا قارناها بالمناطق الأخرى لإفريقيا الغربية[4].

وقد يكون ذلك راجع إلى رغبة الغينيين في تعلم اللغة العربية خاصة وانتماؤهم إلى الحضارة العربية الإسلامية عامة[5].

والجدول التالي يعطينا صورة عن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في غينيا، وذلك ما بين سنتي 1907-1909:

---

(1) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية.

(2) نعيم قداح: ص 169.

(3) دونيزيوش: ص 754.

(4) انظر جدول مقارنة الكتاتيب في إفريقيا الغربية.

(5) Et. Sociales Af.- Paris- No 440- 1961- pp. 7à 9.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب في غينيا[1]

بين سنتي 1907-1909

السنـــة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	28.023	799
1908	23.754	312
1909	23.777	312

ساحل العاج :

تذكر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في ساحل العاج قد وصل إلى ما يقرب من 1.544، وذلك في نهاية سنة 1907[2].

والملاحظ هو أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية يزداد باضطراد سنة بعد أخرى في ساحل العاج. ويبدو أن سبب ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى رغبة أهل البلاد في تعلم اللغة العربية والتمكن منها قدر ما استطاعوا، غير أن التعليم العربي وذلك حتى نهاية سنة 1909 يكاد يكون مقتصرا على الذكور وحدهم. أما البنات فيبدو أن الآباء لا يرغبون كثيرا في تعليمهن، ويفضل الآباء توجيه بناتهم إلى الأعمال المنزلية.

والجدول التالي يبين لنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في ساحل العاج، وذلك بين سنتي 1907-1909:

---

(1) D. BOUCHE: P. 758.

(2) D. BOUCHE: P. 758.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب

في ساحل العاج بين سنتي 1907-1909[1]

السنـــة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	1.544	--
1908	2.000	--
1909	2.397	13

موريطانيـا :

تشير الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية إلى أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية قد وصل في موريطانيا إلى ما يقرب من 235 تلميذاً، وذلك في نهاية سنة 1907. علمًا بأن عدد سكان البلد الأخير لم يتجاوز في نهاية نفس السنة 225.000 نسمة[2].

أما تعليم البنات فقد كان منعدمًا تماما في موريطانيا، وذلك حتى سنة 1909، على عكس مناطق إفريقيا الغربية الأخرى التي نجد فيها نسبة معينة تتعلق بتعليم البنات. ويلاحظ ازدياد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في موريطانيا خاصة في نهاية سنة 1909، حيث تشير المصادر إلى ما يقرب من 1.25 تلميذا يتعلمون اللغة العربية ويحفظون القرآن في الكتاتيب القرآنية في نهاية السنة المذكورة.

والجدول التالي يبين لنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في موريطانيا ما بين سنتي 1907-1909[3]:

---

(1) دونيز بوش: المرجع نفسه ص 756.

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب في موريطانيا.

(3) Archives:: "A. O. M". An. Paris, PP., tit Jossier A. O. F. N: No.

السنــة	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
1907	235	--
1908	235	--
1909	235	--

السنغال :

يحتل التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية من جهة والمدارس الحرة من جهة أخرى في السنغال مكانة مرموقة بين أهل البلاد[1].

وقد شاهد التعليم العربي تطورا ملحوظا خاصة خلال سنة 1907[2]. التي تكاد تضاهي سنة 1913[3] وذلك من حيث عدد التلاميذ والمدارس العربية، علمًا بأن هذه السنة الأخيرة قد بلغ خلالها التعليم العربي في السنغال أوج انتشاره.

وتذكر الإحصاءات الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ التعليم العربي في مدينة سان لويس وحدها قد بلغ ما يقرب من 1.486 تلميذا في نهاية سنة 1907، ويتعلم هؤلاء التلاميذ فيما يقرب من 45 مدرسة عربية. أما في دكار فتذكر الوثائق وجود 27 مدرسة عربية يتعلم فيها حوالي 427 تلميذا. وفي مدينة ريفيسك يوجد حوالي 20 مدرسة عربية تحتضن ما يقرب من 550 تلميذا[4].

وعمومًا فقد بلغ عدد المدارس العربية في السنغال في نهاية سنة 1907 ما يقرب من 1.391 مدرسة تعلم حوالي 11.403 تلميذا[5]. والجدول التالي يعطينا صورة عن التعليم العربي في السنغال خلال السنة المذكورة:

---

(1) فانسا مونتوي: ص 100 .

(2) انظر جدول تعليم اللغة العربية في السنغال سنة 1907.

(3) قارن جدول التعليم العربي في السنغال لسنتي 1907 و 1913.

(4) انظر جدول تعليم اللغة العربية في السنغال لسنة 1907 (الجدول السابق).

(5) أرشيف فرع ما وراء البحار باريس، ملف السنغال رقم 10.

مستعمرة

السنغال السنة: 1907

إحصائيات تعليم اللغة العربية في المدارس والكتاتيب القرآنية للأهالي السنغاليين [1].

الدوائر	عدد التلاميذ		عدد المدارس	عدد الأساتذة	عدد التلاميذ
	الذكور	البنات			
سان لويس	1.326	160	46	46	1.486
دكار	415	12	27	27	427
فوري	34	10	2	2	44
ريفيسك	519	31	20	220	550
اسكال	405	4	34	34	409
المناطق المحمية	8.204	283	1.262	1..262	7.48
المجموع	**10.903**	**500**	**1.391**	**1.391**	**11.403**

وتذكر الوثائق الرسمية للإدارة الفرنسية أن عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية الفرنسية قد بلغ ما يقرب من 51.275[2] تلميذا، وذلك في نهاية سنة 1907، ليقفز هذا العدد إلى حوالي 54.386[3] تلميذا في نهاية سنة 1909.

والجدول التالي يعطينا صورة واضحة عن التعليم العربي في إفريقيا الغربية:

(1) ARCHIVES: "S. O. M." Paris Dossier SENEGAL No 10.

(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية ـ الصفحة التالية.

(3) الجدول نفسه.

جدول عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية
في إفريقيا الغربية [1].

المستعمرة / السنة	عـدد التلاميـذ			عدد البنات من بين المجموع		
	1907	1908	1909	1907	1908	1909
السنغال	9.082	10.719	10.933	21	555	354
النيجر	10.16	10.622	14.425	55	61	207
المناطق العسكرية	=	3.413	=	=	=	=
غينيا	28.023	23.754	23.777	799	312	312
ساحل العاج	1.544	2.000	2.397	=	=	13
الداهومي	1.705	1.775	1.558	15	23	50
موريتانيا	285	285	1.2977	=	=	=
المجموع العام	**51.275**	**50.536**	**54.386**	**885**	**950**	**936**

مقارنة الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية في نهاية سنة 1907 :

قد عرضنا حالة التعليم العربي المتمثل في الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية عامة. وفي ضوء هذا العرض سنحاول إيجاد الفوارق بين قطر وآخر فيما يخص إقبال التلاميذ الأفارقة على التعليم العربي، إذا كانت هذه التباينات موجودة بالفعل.

ونقتصر في هذه المقارنة على المناطق الآهلة بالسكان أي غينيا، والسنغال، وساحل العاج، والنيجر.

(1) Archives: "A. O. M" An. de Paris, Dossier A. O. F. No. 6.

ومقارنة بين السنغال وساحل العاج فيما يخص عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية لكل منهما يتضح الفرق جليا بين البلدين. علما بأن سكان كلا البلدين يكاد يكون متقاربًا بحيث قدر عدد سكان السنغال في سنة 1912 بحوالي 1.250.000 نسمة، وساحل العاج بحوالي 1.200.000 في نفس السنة[1].

أما عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في السنغال فقد قدر بما يقارب من 10.933 تلميذا، وذلك في سنة 1909. أما بالنسبة لساحل العاج فقد قدر عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في نفس السنة المذكورة بما يناهز 2.397 تلميذا فقط. وهذا العدد إذا قيس بمقياس عدد السكان (1.200.000 نسمة) يبدو ضئيلاً بالنسبة لساحل العاج[2].

ويبدو من خلال الإحصائيات الرسمية للإدارة الفرنسية أن غينيا تأتي في المرتبة الأولى من حيث عدد التلاميذ الذين يتعلمون اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية بالنسبة للمناطق الأخرى فى إفريقيا الغربية.

ولقد قدر عدد التلاميذ الذين يتعلمون في الكتاتيب القرآنية في غينيا بما يناهز 23.777 تلميذا وذلك في سنة 1909، علما بأن عدد سكانها كان آنذاك حوالي 1.800.000 نسمة[3] بينما لم يقدر عدد تلاميذ الكتاب في النيجر إلا بما يقرب من 14.425 تلميذا[4]. أما في السنغال فقد قدر عدد تلاميذه بما يقرب من 10.933 تلميذا[5].

وإذا قارنا عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في النيجر بالسنغال تبدو الفوارق واضحة بين البلدين بحيث يفوق عدد تلاميذ القطر الأول بكثير عدد تلاميذ القطر الثاني، مع العلم بأن عدد سكان النيجر أقل من عدد سكان السنغال[6].

(1) انظر جدول مقارنة الكتاب في إفريقيا الغربية.
(2) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في ساحل العاج.
(3) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في غينيا.
(4) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في النيجر.
(5) انظر جدول عدد تلاميذ الكتاب في السنغال.
(6) انظر جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاب في إفريقيا الغربية.

لقد قدر عدد سكان النيجر بحوالي (1.000.000) مليون نسمة في سنة 1912. أما السنغال فقد قدر عدد سكانه بما يقرب من 1.250.000 نسمة.

ونستطيع أن نرتب أقطار إفريقيا الغربية أي إفريقيا الغربية الفرنسية سابقا، وذلك حسب مدى إقبال تلاميذها على تعلم اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية كما يلى في الجدول التالي:

جدول مقارنة عدد تلاميذ الكتاتيب القرآنية في إفريقيا الغربية

الرتبة	البلد	عدد السكان	عدد التلاميذ	عدد البنات من بين المجموع
الأولى			1909	1909
	غينيا	1.800.000	23.777	312
الثانية	النيجر	1.000.000	14.425	207
الثالثة	السنغال	1.250.000	10.933	354
الرابعة	الداهومي	900.000	1.558	50
الخامسة	موريتانيا	225.000	1.297	=
السادسة	ساحل العاج	1.200.000	2.397	13
	المجموع العام	**6.375.000**	**54.386**	**936**

* * *